شركاء

أسرعوا[1] إلى الرئيس المستقيل حين دعاهم ، لم يترددوا فى ذلك ، ولم يخطر لهم أن يترددوا فيه ، ثم وثبوا مع الرئيس المستقيل إلى الحكم واستقروا مع الرئيس المستقيل فى مناصبه . أقدموا على كل ما أقدم عليه ، وأحجموا عن كل ما أحجم عنه . احبوا كل ما أحب ومن أحب ، وكرهوا كل ماكره ومن كره . ومضوا معه حازمين عازمين ، لا يتخلفون عنه إصبعا ، ولعل بعضهم كان يسبقه أشبارا ، ولعله هو كان يردهم إلى الهدوء ، ويضطرهم إلى السعى مكان العدو ، ويلقى فى قلوبهم أن الأناة خير من التعجل ، وأن الإبطاء قد يفيد أكثر مما يفيد الإسراع .

هَمَّ بتغيير النظام فأسرعوا إلى تغيير النظام . اقترح قهر الشعب فلم يترددوا فى قهر الشعب . آثر العنف فلم يخافوا من إيثار العنف . مضوا معه حازمين عازمين ، مسرفين فى الحزم والعزم ، لا ينظرون إلى وراء ، ولا يبعِدون النظر إلى أمام . وإنما ينظرون إلى هذا الرجل الذى قام بينهم يعمل ويدعوهم إلى العمل ، ويأمِل وينفخ فيهم

---

(١) ٢٤ - ٩ - ١٩٣٣

الأمل ، وكان منهم من يضعف عزمه عن هذه الأعمال الجسام ، والأحداث العظام التى كان يدفع إليها رئيس الوزراء المستقيل . فكانت نظرة من الرئيس أو ابتسامة تزيل هذا الضعف وتضع مكانه قوة على الجرى والعدو ، وعلى تجشم الخطوب ، واقتحام الأهوال . وكان الجند والشرطة يصطدمون بالناس فيسقط القتلى ويسقط الجرحى ، وتصطبغ الأرض بالدماء ، ويرتفع الأنين إلى السماء فلم تكن هذه الدماء تروع قلبا ، ولا تؤذى نفسا ، ولم يكن ذلك الأنين يبعث إشفاقا ، أو يثير شعورا ، وإنما كان أمرهم ثباتا مظلما ، قاتما هادئا ، مخيفا قاسيا ، عنيفا لا يعرف الرحمة ولا الإشفاق ، ولا يحب اللين ولا الدعة ولا يذكر أمس ، ولا يفكر فى غد ، ولا يستحضر بكاء الباكين ، ولا شكاة الشاكين ، ولا يرثى لهؤلاء الأمهات اللائى كن يفجعن فى أبنائهن ولا لهؤلاء الأبناء والبنات الذين كانوا يفجعون فى آبائهم ولا لهؤلاء الزوجات اللائى كن يضطررن إلى حياة الأرامل والأيامى .

وكذلك مضت أشهر وأشهر ، وكذلك مضى عام وعام ، وكذلك أكرهت مصر على غير ما كانت تحب ، وكذلك أوذى المصريون فى أكرم ما كانوا يحبون . ثم عملت الأيام عملها ، وأحدث الزمان آثاره فرثّت صلات الود بين الرئيس المستقيل وزملائه ، وأخذ بعضهم يتنكر لبعض ، وأخذ بعضهم يمكر ببعض ، وأخذ بعضهم يضع العقبات أمام بعض حتى ساءت الحال ، وفسد كل شيء بين الأصدقاء المتعاونين ، واضطر الرئيس إلى أن يستقيل ليتخفف من

بعض الأثقال ويخلص من بعض الزملاء ، ثم يؤلف وزارته من جديد ، يضع فيها قوما مكان قوم ، ويختار لها أفرادا أقدر على استئناف المضى فى الطريق المرسومة إلى الوثوب . وهم إن دعوا أو اشتركوا ، ووثبوا إلى الحكم سيسيرون مع الرئيس الجديد سيرتهم مع الرئيس القديم سيشاركون فى كل شىء ، وسيتضامنون فى كل شىء حتى يخلصوا غدا كما خلصوا اليوم ، ليس عليهم بأس ، وليس عليهم جناح ، وليس ما يمنعهم من الاستعداد للوثوب مع رئيس آخر إن دعوا إلى الوثوب .

لو قيل هذا الكلام فى غير مصر لأنكره الناس إنكارا شديدا ، ولو وقعت هذه الأحداث فى غير مصر لضاق بها الناس ضيقا شديدا ، ولكن هذا الكلام يقال فى مصر فلا ينكره أحد ، وهذه الحوادث تقع فى مصر فلا يضيق بها أحد أولا يظهر الضيق بها أحد ، لأن المصريين قد عرفوا منذ عهد بعيد أن فيهم جيلا من المستوزرين ، دأبهم أن ينتظروا الحكم إن بعدوا عنه ، وأن يقبلوا الحكم إن دعوا إليه ، وأن يطيعوا رئيسهم ما وجبت طاعته ، وأن يلبوا دعوة غيره متى نهض بالأعباء

هذا الجيل موجود فى مصر منذ زمن بعيد ، يعرفه المصريون حق المعرفة ، وينكره المصريون أشد الإنكار ، ولكن ما حيلة المصريين فيه ؟ لقد وجد واتخذ لنفسه هذه الصناعة ولو كان أمر مصر إليها لردت هذا الجيل إلى حيث ينبغى أن يكون بعيدا عن السياسة أشد البعد ، نائيا عن الحياة العامة أشد النأى ، لأن هذا الجيل لا يصلح للسياسة ، ولا يصلح للحياة العامة . أحب الحكم للحكم ، فاقتنع الأجنبى بأن أمر

مصر يسير مادام بين أبنائها من ينهضون بأعباء السياسة فى غير شرط ولا مايشبه الشرط .

يجب أن يذكر المصريون هذا كله ، وألا ينسوه ، وأن يفتحوا أعينهم ليروا من وراء هذه الغيوم الرقيقة ما يأتيه جيل المستوزرين من هذه الحركات المريبة التى لن تنتهى إلا إلى ما يسوء .

يجب أن يسمع المصريون لهذه الأسماء التى تتلى عليهم فى الصحف كل يوم على أنها أسماء الذين قد يدعون إلى تأليف الوزارة أو إلى الاشتراك فيها فسيرون أصحابها كلهم أو أكثرهم من أصدقاء الرئيس المستقيل ، ومن أعوانه المقربين ، أو الذين كانوا مقربين ، ومن الذين شاركوه فى إقامة النظام الجديد ، من الذين شاركوه فى تقييد الحريات ، من الذين شاركوه فى كل هذه السياسة التى انتهت إلى شر ما هى عليه الآن . وهم جميعا أطهار أبرار ، خليقون فى رأى أنفسهم ، وفى رأى أصحابهم وأنصارهم أن ينهضوا بأعباء الحكم مرة ومرات .

نعم يجب أن يسمع المصريون لهذه الأسماء وأن يفكروا ويطيلوا التفكير فى لعب الحوادث ، وسخرية الظروف ، وإلا فأى استهزاء بالشعب أشد من استهزاء هؤلاء السادة الذين يشاركون صدقى باشا فى كل مايأتى ، ثم يتأهبون الآن ليرثوا صدقى باشا فى الحكم ، كأنهم لم يعاونوه ولم يظاهروه ، ولم يتضامنوا معه فى شىء .

أى استهزاء بالشعب أشد من استهزاء هؤلاء السادة الذين يذكرون أن تركة صدقى باشا ثقيلة ويفصلون ثقلها تفصيلا ، وهم الذين أحدثوا

معه هذه التركة الثقيلة ، ثم هم فى الوقت نفسه يستعدون للاستيلاء على هذه التركة ليزيدوها ثقلا على ثقل

يجب أن يفكر المصريون ويطيلوا التفكير ، وأن يذكروا ولا ينسوا أن التبعات التى يحتملها صدقى باشا أمام أمته ووطنه وربه ثقيلة أثقل مما يظن صدقى باشا ، ولكنه لا يحتملها وحده ، وإنما يحتملها معه هؤلاء الذين ظاهروه وأيدوه أمس ، والذين يولونه ظهورهم اليوم ، ويتأهبون لخلافته على الحكم .

ليس الإخفاق الذى أصاب صدقى باشا مقصورا عليه ، وإنما هو حظ شائع بينه وبين زملائه الوزراء ، بل بينهم وبين أصدقائهم وأوليائهم من هذين الفريقين اللذين كانا يسميان أنفسهما إلى وقت قريب الحزبين الشقيقين

وما أشد سخرية الظروف التى تصور صدقى باشا كأنه وحده المسئول وكأنه وحده الملوم . وتصور شركاء صدقى باشا كأنهم القادرون على إصلاح ماأفسد رئيسهم المستقيل .

يجب أن يفكر المصريون فى هذا كله ، وأن يسجل المصريون هذا كله ، وأن يثبت المصريون أن هذا العبث الذى يجرى من وراء ستار لا يخدع أحدا ، وإنما يخدع العابثين أنفسهم ، وأنه لا يزيد على أن يكون عبثا ، وأن مصيره لن يكون خيرا من مصير تلك السياسة التى فرضها الرئيس المستقيل على أمته أكثر من ثلاثة أعوام .

ثم يجب ألّا ييأس المصريون من أن أمورهم مردودة إليهم من غير شك ومن أنهم سيحولون بين خصومهم وبين هذا العبث الذى أسرفوا فيه إسرافا شديد الخطر على الكرامة والمنافع والأخلاق .